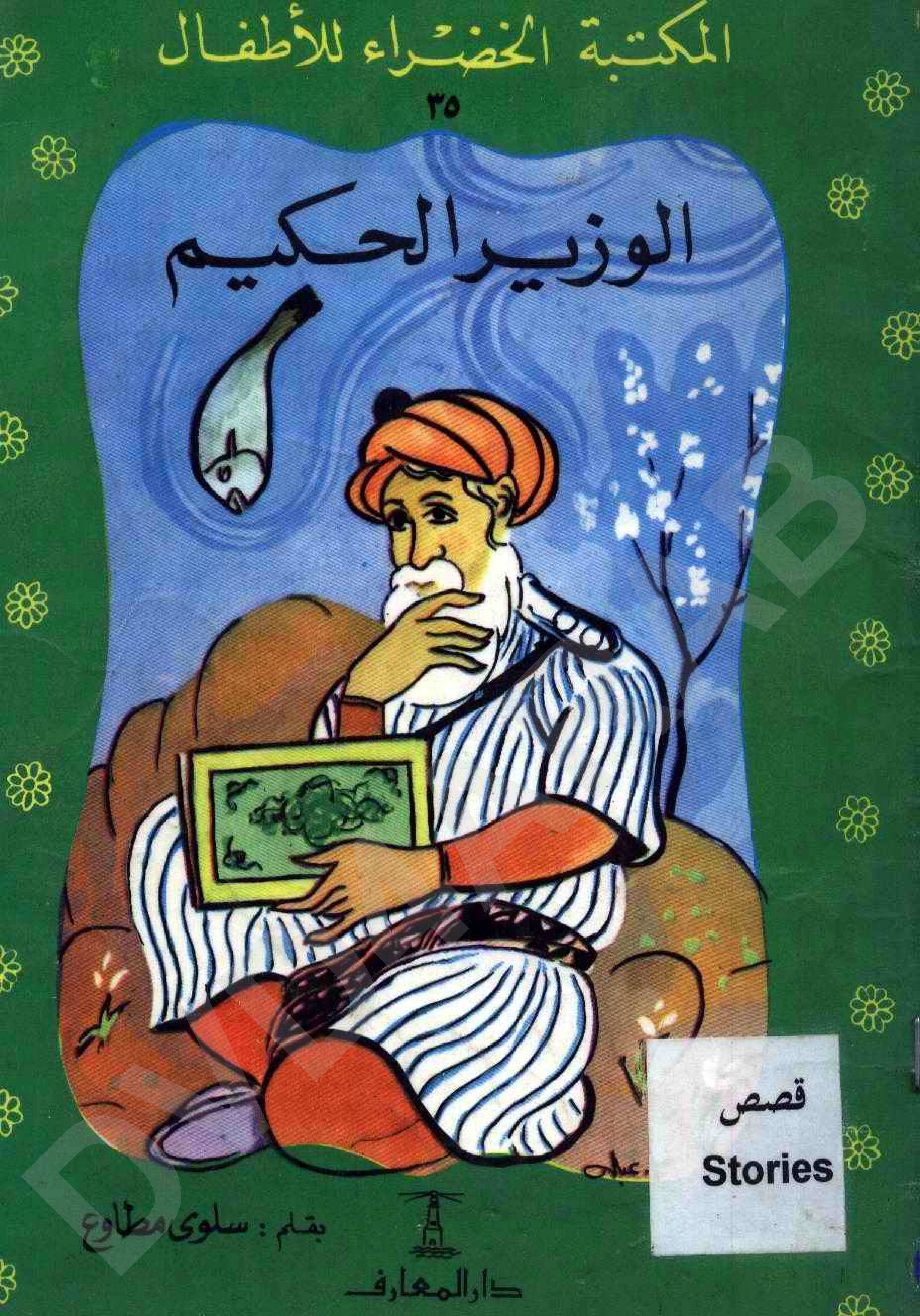

المكتبة الخضراء للأطفال
٣٥
الوزير الحكيم
قصص
Stories
بقلم : سلوى مطاوع
دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

(٣٥)

الوزير الحكيم

بقلم : سلوى مطاوع

رسوم : محمد عبلة

الطبعة الخامسة



فِى قَديمِ الزَّمانِ وسالِفِ العَصْرِ والأَوان.. فى بلادِ الهِنْدِ كانتْ هُناكَ مدينةٌ تُسَمَّى «كاندى».. ومَدِينةُ «كاندى» اشْتهرَتْ بكَثرةِ الأَشْجارِ ووفْرةِ الزَّهرِ والثِّمارِ.. حتَّى أُطْلِقَ علَيْها «الْمدِينَة الْخَضْراء»، أو «كاندى الْخَضْراء».

وكان سُكَّانُ مَدينةِ «كاندى».. فى مُنْتَهى الْحَيويَّةِ والنَّشاط.. فهم يَسْتيقِظُونَ مُبكِّرينَ كلَّ صَباحٍ على دقَّاتِ أجراسِ السَّاعةِ الكَبيرةِ والشَّهيرةِ.. المَوْجُودةِ بأَعْلَى مكانٍ بالْمدِينةِ ليرَاها الجميعُ ويسمعَها الجميع أيضًا.. فهى مثبَّتةٌ على برجٍ عالٍ، أعْلَى حتى من قصرِ الملكِ نفسِه. وهذا البرجُ مَطْلِيٌّ باللَّونِ الأخضرِ

أيضًا.. وهناك عاملٌ مختصٌّ من أهل المدينة.. يتولَّى صِيانةَ هذه السَّاعة وإصلاَحَها إذا ما أصابَها أىُّ نوعٍ منَ الأعْطَالِ.

وفى إحْدَى ليالى الصَّيفِ الحارَّةِ.. أصابَ مَلِكُ مدينةِ «كاندى» نوعُ مِنَ الأرق، فقد توجَّهَ إلى فراشِهِ لينامَ بعدَ يَوْمٍ شاقٍّ منَ العملِ وتَصْرِيفِ شُئُونِ الرَّعيَّةِ.

أخذَ الْمَلكُ يتقلَّبُ فى الفِراشِ لينالَ قسطًا من الرَّاحة.. ولكن مرَّتِ السَّاعاتُ والدَّقائقُ ولم ترَ عيناه النَّوْمَ.. حتى أُعلَنَتْ أجراسُ السَّاعةِ السادسةِ صباحًا، فقامَ من سَريرِه ليَبْدأَ يومًا



جديدًا منَ العَمل.. ولكنّه شَعَرَ بالإرهاقِ والْمَلَل .. فهو لم يحْصُلْ على الرَّاحةِ الْكَافيةِ ليلةَ أمْس.. صَحِيحٌ أنه مُتيقِّظٌ ولكنَّهُ مُشَتَّتُ الذِّهن، شاردُ الفِكْر.

لذلك قرَّر الملكُ أنْ يكونَ هذا اليَوْمُ يَوْمَ راحةٍ واسْتِجْمامٍ بالنِّسبةِ له.. يقضِيهِ خارجَ الْمدينةِ فى رحلةٍ خَلويَّةٍ بَيْن الْحدَائقِ والأَشْجارِ والزُّهورِ، يَسْتَعِيدُ فيها صفاءَ ذهنِهِ وهدوءَ تَفْكيرِهِ.



اعتادَ الملكُ أنْ يصْحبَ معه وزيرَهُ الحَكيم «كَالْدَهَار».. فهو خيرُ رفيقٍ في مثلِ هذه الرحلات. فأحاديثُ الوزيرِ «كَالْدَهَار» أحاديثُ ممتعةٌ مليئةٌ بالمعرفةِ والحكمةِ.. حافلةٌ بأَخْبارِ الْبلَادِ والْعِبادِ والْمُلوكِ في الأزمانِ الْقَديمةِ والْحَديثة.

أمرَ الملكُ أحدَ الحرَّاسِ باسْتِدْعاءِ الْوزيرِ «كَالْدَهَار» فورًا.

وبعْدَ دقائقَ قليلةٍ، دخلَ الوزيرُ حجرةَ الْمَلِك.

كانَ الوزيرُ «كَالْدَهَار» قَدْ بلغَ مِنَ السِّنِّ السَّبْعينَ.. على وجْهِهِ تَركَ الزَّمَانُ آثارَهُ بوُضُوحٍ. فاللِّحْيةُ بيضاءُ كثيفة، والبَشَرَةُ بَيْضاءُ تَعْكِسُ الصَّفاءَ والحُبَّ الَّذِي يحملُهُ في قلبِهِ للنَّاسِ، كلِّ النّاس.

كَذلِك كانَ أهلُ المدينةِ كلُّهُم يشعُرونَ بالحبِّ تجاه وزيرِهِم الحَكيم.. فقَدْ كانَ دائمًا يقفُ بجانبِهِم ويرْعَى شئونَهُم. ويَفْصِلُ في قضاياهُم بحِكْمتِهِ وسِعَةِ صَدْرِه، وحُسْنِ حَديثِهِ، وأحْكامِهِ الْوَاعيةِ الَّتي تدلُّ عَلى الحيلةِ وحِدَّةِ الذَّكاء.. حتى أَنَّ الوزيرَ «كَالْدَهَار» اكْتسبَ عنْ جَدَارةٍ لقبَ «الْوزِيرِ الحَكِيم» ومَعَ الوَقْتِ نَسِيَ النَّاسُ.. بل ونسِيَ الملكُ نفسُهُ اسمَ «كَالْدَهَار».. وأصبحَ الجميعُ يُنادونَه بصفتِهِ التى اشْتَهر بها وهِيَ «الحَكيم».

اعتادَ الملكُ حينما يبدأُ يومَه أنْ يجِدَ الوزيرَ الحكيمَ فى انتظارِه.

ولكنَّ هذا اليَوْمَ نهضَ الملكُ مبكِّرًا مِنْ فراشِه كما نعلمُ ولم يستطِعْ صبرًا حتَّى يحضُرَ الوزيرُ فى موعدِهِ اليَوْمى.. لِذَلِكَ أمرَ الحارسَ باستدعائِهِ فوْرًا.

قال الوزيرُ: صباحُ الخَيْرِ أيُّها المَلِك،-لقَدِ استيقَظْتَ مبكرًا هذا الصَّباحِ، لعلَّ شيئًا قد حَدَثَ.

قالَ الملك: كَلَّا.. بل إنَّنِى لَمْ أَنَمْ طِوَالَ الليلةِ الماضيةِ.. وأَشعُرُ بالإرهاقِ الشَّدِيدِ، وأحتاجُ إلى الذِّهابِ فى رِحْلةٍ خلويةٍ حتى أُرِيحَ أَعْصَابى المُتعبةَ وأُجَدِّدَ نَشَاطِى، علي أنْ تكونَ الصُّحبةُ معك. فاستَعِدَّ حالاً..

قال الوزيرُ فى دهشةٍ: اليَوْمِ يا مولَاى..؟!

قالَ الملكُ: نَعَمْ..

قالَ الوزيرُ: لكنْ يا مولَاى نحنُ لدَيْنا الكثيرُ من الأعمال، فنحن كما تَعْلَم يا مولَاى فى مَوْسمِ الحَصاد، وعلَينا أن نَحْسِمَ الأُمورَ بيْن المُزارعينَ والتُّجَّار فى مسألةِ الأسْعارِ.. ولدَيْنا أيضًا

اجتماعٌ بالصيَّادينَ لمناقشةِ مشاكلِهم فى نقلِ الأسماكِ من مدينَتِنا إلى المُدُنِ المُجاورةِ وأمامَنا كذلك..

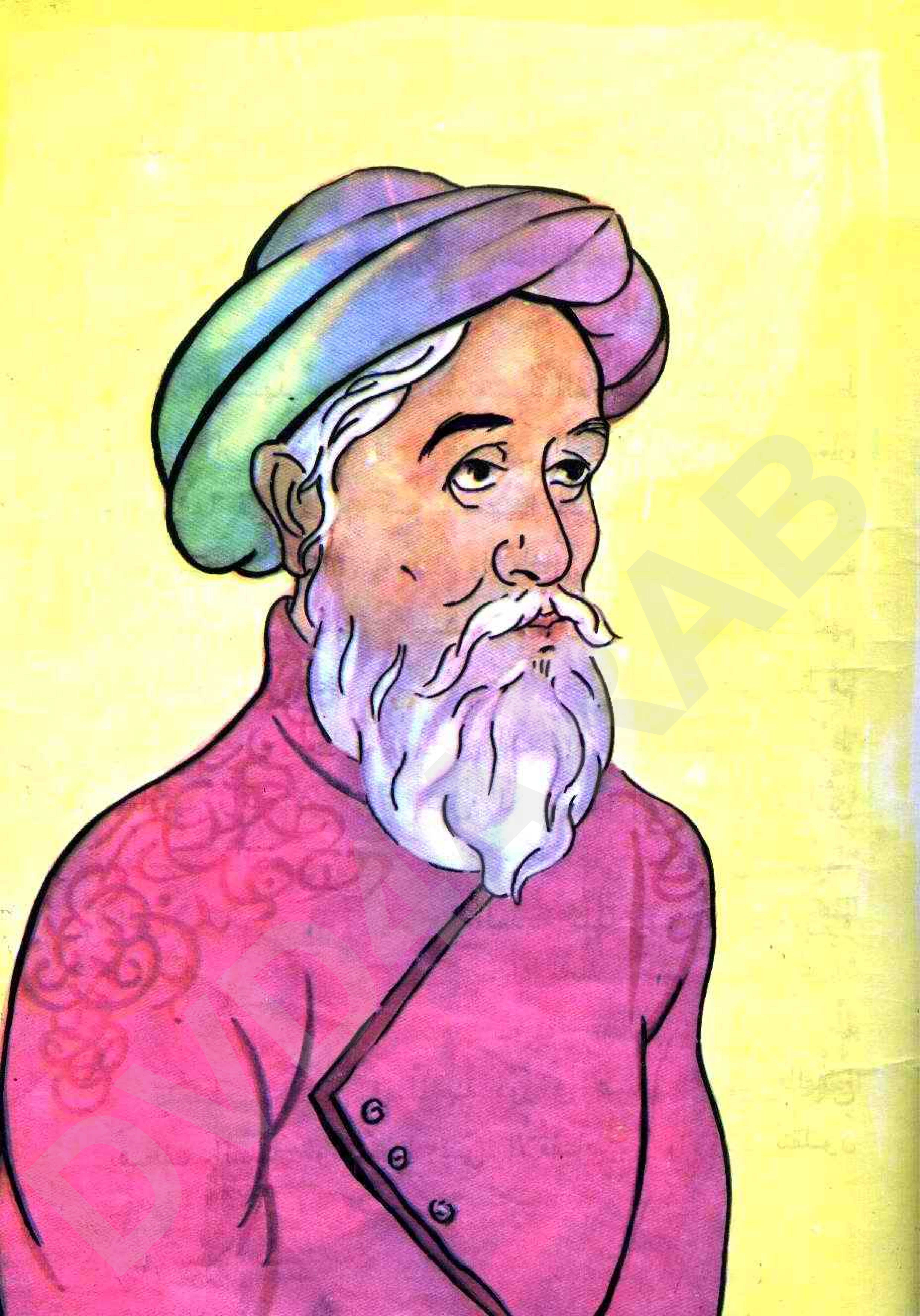
قَاطعَهُ الْمَلِكُ قائلًا: اسْمعْ يا حَكِيم.. إنَّنِى مُرْهَقٌ جدًّا.. ولَنْ يَسْتفيدَ برأيِى ومشُورتِى أىُّ طرفٍ من الأَطْرافِ.. وأنا آمرُك أن تستعدَّ وتُجَهِّزَ لنا فى خلالِ نصفِ ساعةٍ جَوادَيْنِ قويَّيْن..

قالَ الْوزِيرُ: سمعًا وطاعةً يا مَولَاى.. ولَكِنْ لماذَا جَوادَانِ فقط.. والْحُرَّاسُ ماذَا يَرْكَبُون؟.

قالَ الْمَلِكُ: لَا دَاعى للْحرَّاسِ معنا.. فقد كَرِهتُ هذه المواكبَ التى تقيِّدُنى.. وأُحِبُّ أن أشْعرَ بالْحُرِّيةِ مثل أىِّ شخصٍ عادىٍّ من أهلِ الْمَدِينةِ.. فمدينتُنا والْحَمدُ للَّهِ مدينةٌ آمنةٌ وأهلُها طَيِّبونَ.. وأنا أشعرُ بالأمنِ والأمانِ حِينما أكُونُ بينْهم حَتَّى بدونِ حُرَّاس.

قالَ الْوزِيرُ مَرَّةً أُخْرى: سمعًا وطاعةً يا مولَاى.. بعد نصفِ ساعةٍ سيكونُ كلُّ شيءٍ مُعَدًّا.

ركبَ الْمَلِكُ والوزيرُ الحكيمُ جَوادَيْهِمَا، وأَخذَا يتجوَّلانِ فى الْحُقولِ ويستمتعانِ بمشاهدةِ المَزارِعِ الَّتى تخترقُها القَنواتُ



المائيةُ الآتيةُ منَ النَّهرِ الكبيرِ الذى يمتدُّ بطُولِ سواحلِ مدينةِ «كَانْدِى الْخَضْرَاء».

* * *

كانَ المشهدُ عظيمًا ورائعًا، مشهدُ الفلاحينَ الْمُنْتَشِرِينَ وسَطَ هذه المَزارعِ والحُقولِ، يحصدونَ الحبوبَ ويَجْمعونَ الثِّمارَ، ويَضَعُونَهَا فى أكوامٍ كَبيرةٍ تمهيدًا لنقِلها إلى الأسْواق. كانَ الكلُّ سعداء، الرجالُ والنساءُ والأطفالُ، فموسمُ الحَصادِ بالنسبةِ لهم عيدٌ من أجملِ أعيادِهم، يَنْسَوْنَ فيه آلامَهم ومشاكلَهم ومتاعبهُم، يَنْسَوْنَ فيه كلَّ شيءٍ عَدَا الخَيْرِ الْوفيرِ الَّذى ينتظرُهُم حِينَما يبيعونَ محاصيلَهم فى الأسْواقِ، بَلْ إنهم منْ فَرْطِ سعادتِهم وانْهمَاكِهمْ فى الْعمَلِ لم ينْتَبِهوا إلى مرورِ الجَوادَيْنِ بالأَسْرِجَةِ الذَّهبيةِ والفِضّيةِ، التى تَدُلُّ على عظمةِ مَنْ يركبهُما، وَالَّتِى لم يكنْ لأحدٍ مِثْلهما فى المدينةِ كلِّها سِوَى المَلِكِ ووَزِيرِهِ الحكيم.

كانَ لكلِّ إنسانٍ فى الْمَدِينةِ دَوْرٌ فى عمليةِ الحَصادِ، فالفلَّاحُ يَقْطُفُ الثِّمارَ ويضَعُها فى الأَقْفاصِ، والأولادُ يَنقُلون



الأقفاصَ مِنْ مَكَانٍ إلى آخرَ، والزوجاتُ يَقُمْنَ بِفَرْزِ الثِّمارِ وإبعادِ التالفِ مِنْها، وتعبئةِ الثمارِ الصَّالحةِ فى صَنَادِيقَ كَبيرةٍ، وأقفاصٍ مصنوعةٍ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ تمهيدًا لنقلها..

كادَ النَّهارُ أَنْ ينتصِفَ.. وتوسَّطَتِ الشمسُ السَّماء، واشْتدَّتِ الْحَرارةُ، والْمَلِكُ والوزيرُ الحكيمُ ما زالاَ فَوْق جِوَادَيْهِما، يتجوَّلاَنِ فى الحُقولِ وبَيْن المزارعِ، واقتربَا أخيرًا مِنَ النَّهْرِ، وعندما شاهدَا مياهَهُ الفِضِّيةَ الجميلةَ، شَعَرَا بعطَشٍ شديد، وكَذلِكَ شَعَرَ الْجَوادَانِ بالْعَطَشِ أيضًا، لذلك اقتربَ الجوادان منَ النهرِ تلقائيًّا.

نَزلَ الْمَلِكُ ووزيرُهُ واقْتربا مِنَ النَّهْرِ، وأخذا يرتَشِفانِ من المياهِ العذبةِ فى حين أخذ الجوادَانِ يرويانِ عطشَهُما.

وشردَ الْمَلِكُ بفكرهِ قليلاً وقالَ للوزير: إنَّ هذا النهرَ المُتَدَفِّقَ مياهُهُ جميلةٌ وصَافِيةٌ.

قال الْوَزِيرُ: نَعَمْ يا مولاَیَ.. وهذا سببُهُ أنَّ مياهَهُ متجددةٌ باسْتِّمْرارٍ.

قال الْمَلِكُ: من حُسْنِ الحظِّ أنَّ اللَّهَ وَهَبَ لَنَا هذَا النَّهرَ، لِنَرْوِى بِمِيَاهِهِ كُلَّ هذه الْحُقولِ والْمزارعِ ولتُصْبحَ مَدِينَتُنا بِحَقٍّ الْمَدِينَةَ الْخَضْراءَ.

قال الْوزيرُ: لأنَّ بلاَدَنا -وكما تعلمُ يا مَوْلاَى- تسقطُ علَيْها الأمطارُ أغلبَ شُهُورِ السنةِ، والفلاَّحُونَ قد رَتَّبُوا أنفسَهم وزراعاتِهم على مياهِ الأمْطَارِ، أما فى أشْهرِ الصَّيفِ القليلةِ والتى لا تَسْقُطُ فيها الأمطارُ يلجئُون إلى النَّهرِ لرىِّ أَراضِيهِمْ.

قال الْمَلِكُ: إذنْ فَنحْنُ لا نَسْتفيدُ منْ مياهِ النهرِ إلا بِالْقَلِيل!

قال الْوزيرُ: نعم يا مولاَیَ.. هذَا بالنِّسبةِ للزراعةِ فقط، أما بالنِّسبةِ للصَّيدِ فإنَّنا نستفيدُ مَنَ النَّهرِ طولَ العامِ، فنحصلُ



علی حاجتِنا منَ السّمكِ، والفائضُ نبيعُهُ فی الْمُدنِ الْمُجاورة التی لَا يمرُّ بها النَّهرُ.

فقالَ الْمَلِكُ: ولكنْ يا حَكِيم هَذَا النهرُ لا ينْتَهی عِنْدَ حُدودِ مدينَتِنا، فنحْنُ قدِ اقْترَبْنا مِنْ نهايةِ المدينةِ وهو ما زالَ ممتدًّا، فأين يذهبُ بعدَ ذلك؟

أجاب الْوزِيرُ: إنَّهُ يَذْهبُ إلی قريةِ «مادونا» الْمُجاورة، وهِیَ قَرْيَةُ الصَّيادينَ التی يحكمُها والدُ الطفلِ «بَاجِی» الذی يلعبُ مع أميرتِنا الجميلةِ «سُوهَان» ابنتكُمْ يا مولایَ.

قال الْمَلِكُ: نعم.. تذكَّرتُ.. لقَدْ رأيتُ ذلكَ الطِّفْلَ أكثرَ من مَّرةٍ مع ابنتِنا «سُوهَان» فی صُحبةِ مربيتِها العجوزِ «نَاهِی» وأخذَ الْمَلِكُ يفكِّرُ قليلًا، ثم عادَ ليسألَ الوزيرَ: ولكن هلْ النَّهرُ يمرُّ بقريةِ الصَّيَّادِين هَذِهِ؟

قال الْوزيرُ: نعم يا مَوْلایَ، فالنَّهرُ يذهبُ من عندِنا إلی الْقريةِ، ويتجاوزُها إلی قُرًی أُخْری، لأنَّ الأمطارَ التی تسقُطُ علی أراضِينا تُغَذِّی هذا النهرَ، وتعملُ علی زيادتِه باسْتِمرارٍ، فيتدفقُ ويذهبُ إلی قريةِ الصيَّادين وغيرِها من القُرَی التی تَلِيها.

قال الْمَلِكُ: إذَنْ فقريةُ الصيَّادينِ تستفيدُ منَ النهرِ أكثرَ مما نستفيدُ نَحْنُ.

قال الوزير: هٰذِه حقيقةٌ يا مولاىَ؛ فالنَّهرُ بالنِّسبةِ لهم هو كلُّ حياتِهم، فالأمطارُ التى تسْقطُ على أراضِيهم ليْسَتْ كَثِيرةً، كما أنَّ أَرْضَهُمْ أغلبُها لا يصلُحُ للزِّراعةِ، لِذَلِكَ يُعْتَبرُ النَّهرُ هو مَصْدَرُ رزْقِهم، يَصْطَادُونَ منه الأَسْمَاكَ، ويَشْرَبُونَ منه.. إلى جانبِ أنه وسيلةُ انتِقالِهم الْوَحِيدَة فَهُمْ نادرًا ما يَسْتَخدِمُونَ الدَّوابَّ.

انْتَهى الْجوادَانِ مِنْ شُرْبِهمَا، وجَذَبَ كلٌّ منَ الملكِ والوزيرِ جوادَهُ وامْتَطى ظَهْره وواصَلا السَّيرَ من جديدٍ، حتى تَجاوَزَا حدودَ الْمَدِينةِ ودَخَلا قريةَ الصيادين. وبعدَ السَّيرِ ما يَقرُبُ مِنْ رُبْعِ السَّاعةِ اسْتَرْعَى نَظَرَ الْملكِ أنَّ صَفْحةَ النَّهرِ قد تغيَّرَتْ تمامًا عما هى عَلَيْه داخلَ مَدِينته.. ووجدَ الصيَّادينَ يَنْتَشِرُونَ بقوارِبهم وشِباكِهم على صَفْحةِ النَّهرِ.. وبجوارِ الشَّاطئ حتَّى كادَتِ المياهُ أنْ تختفِىَ تحتَ القَوارِبِ والشِّباكِ، والأطْفَالُ الصِّغارُ والرِّجَالُ الْكُهولُ جَلَسُوا عَلَى حَافَةِ النَّهرِ يُلْقُون بسنَّاراتهم فى المِياه.

أدارَ الملكُ بصرَه فوجدَ بعضَ الْحَيَواناتِ والدَّوابِّ تمدُّ أفواهَها لِتَرْتوِىَ مِنَ النَّهرِ فَقَدِ اشتدَّتِ الحَرَارَةُ، وبَدَتِ الْقَرْيَةُ

برجالَها ونسائِها وأطْفالِها وحَيواناتِها تَزْحَفُ إلى النَّهْرِ.

رَفَعَ المَلِكُ بَصَرَهُ إلى مُنْتَصَفِ النَّهْرِ فَوَجَدَ القَوارِبَ تَعْبُرُه وهى فَارِغَةٌ.. بعد أنْ حَمَلَتِ المُؤَنَ وَالْبَضَائِعَ مِنَ القَرْيَةِ إلى القُرَى التى تُقَابِلُها على الضِّفَّةِ الأخْرَى.

تقدَّمَ الملكُ ومعه الوزيرُ بِجَوَادَيْهِمَا إلى حافَةِ النَّهرِ.. واقْتَرَبَ الملكُ مِنْ أَحَدِ الصيَّادِينَ وَقَالَ له: اسْمَعْ يا رَجُلُ أعْطِنى بَعْضَ المَاءِ لأشْرَبَ.

أَسْرَعَ الرَّجُلُ وَأَحْضَرَ إنَاءً نَظِيفًا مَمْلُوءًا بِالمَاءِ. . وقدَّمَه إلى الملكِ.. كَما أحْضَرَ إناءً آخرَ للوزيرِ لِيشْرَبَ أيضًا، وتَقَدَّمَ مِنْهُما وقَالَ: تَفَضَّلا.

وَبَيْنَمَا هُمَا يَشْرَبانِ، أخَذَ الرَّجُلُ يُحَمْلِقُ فى الفارِسَيْنِ الرَّاكِبَيْنِ على جَوَادَيْهِما. . وقَالَ فى نَفْسِهِ: لابُدَّ أَنَّهُمَا مِنْ عُظَمَاءِ الْقَوْمِ. . وقالَ لهما: لابدَّ أنَّكُما آتِيَانِ مِنْ سَفَر، فهل تَسْمَحَانِ بِتَنَاوُلِ الغَدَاءِ عِنْدَنا؟ إنَّ السَّمَكَ الذى نَصِيدُهُ مِنْ نَهْرِنا العَظِيمِ لَذِيذٌ جدًّا، تمامًا كحَلاَوةِ مِيَاهِنا التى شَرِبْتُما مِنْها الآنَ.

قَالَ الملكُ (وهو يُحَاوِلُ إخْفَاءَ غَيْظِهِ): شُكْرًا.. شُكْرًا.. هيَّا بِنا يا حَكِيمُ.



وعَادَ المَلِكُ ووزيرُهُ فى اتِّجَاهِ مَدِينتِهِمَا.

وفى الطَّرِيقِ قَالَ المَلِكُ فى غَضَبٍ: أسَمِعْتَ يا حَكِيمُ ما قَالَهُ الرَّجُلُ؟!

قَالَ الْوَزِيرُ: مَاذَا قَالَ يا مَوْلَاىَ؟! لَابُدَّ أنه رجلٌ كريمٌ، أَدْرَك أَنَّنا عَلَى سَفَرٍ فأَرَادَ أَنْ يُقَدِّمَ لنا الطَّعَامَ كَمَا قَدَّمَ لنا الْمَاءَ.

قَالَ الْمَلِكُ: لا أقْصِدُ هَذَا يا وزيرُ.. أَقْصِدُ ما قالَه الرَّجُلُ بخُصوصِ النَّهْرِ، أسَمِعْتَ.. ما قالَه؟ (نَهْرَنا، سَمَكَنا، مِيَاهَنا..) إنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ يَتَصَرَّفُونَ وكَأَنَّ النَّهْرَ مِلْكُهُمْ.

قَالَ الْوَزِيرُ: وماذَا فى هَذَا يا مَوْلَاىَ؟

قَالَ الْمَلِكُ (فى حِدَّةٍ): أَلَمْ تَقُلْ يا وَزِيرُ إنَّ مِيَاهَ الأَمْطَارِ تَسْقُطُ على أَرَاضِينا نَحْنُ فى «كَانْدِى الْخَضْرَاء».. ثم تَتَسَلَّلُ إلى النَّهْرِ، لِتَذْهَبَ إلى هَذِه الْقَرْيَةِ لِتَسْتَفِيدَ منها.. فى حِين لا نَسْتَفِيدُ نحنُ منها إلَّا بالْقِليلِ، ومع ذلك يَدَّعُونَ أنه نَهْرُهُمْ وَمِياهُهُم وسَمَكُهُم؟.

قال الْوزِيرُ: إنه رَجُلٌ بَسِيطٌ يا مَوْلَاىَ، وهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّنا غُرَباءُ عَنْ هَذِهِ البلادِ.. لِذَلِكَ أرادَ أنْ يقدِّمَ لنا المِيَاهَ والطَّعامَ.. ولِذَلِكَ نَسَبَ هَذِه الأَشْيَاءَ إلى قَرْيَتِهِ.

قال الْمَلِكُ: لاَ يَا وَزِيرُ.. لَقَدْ فَكَّرْتُ فى الأَمْرِ كثيرًا، إنَّ النَّهْرَ مِنْ حَقِّنا نَحْنُ، ونحن فقطِ الَّذِينَ مِنْ حَقِّنَا أَنْ نسْتَفِيدَ مِنْهُ، لِذَلِكَ يَجِبُ أن نَمْنَعَ النَّهْرَ أن يَتسلَّلَ إلى القُرَى الأُخْرَى.

دَهِشَ الْوَزِيرُ «كَالْدَهَار» مِنْ هَذَا الْقَرَار الْمُفَاجِئ!!..

قَالَ الْوَزِيرُ: لَكِنْ يَا مَوْلاَىَ.. أَهْلُ قَرْيَةِ «مادونا» الْمُجَاوِرَةِ يَعِيشُونَ على هذا النَّهْر، فَأَرَاضِيهِم - كَمَا رَأَيْتَ - لا تَصْلُحُ لِلزِّرَاعَةِ، وهِيَ مَحْرُومَةٌ تَمَامًا مِنَ الأَمْطَارِ، وحَيَاتُهُمْ كُلُّهَا فى الصَّيْدِ مِنَ النَّهْرِ، فَلَوْ أَوْقَفْنَا النَّهْرَ عَنِ التَّدفُّقِ فكَيْفَ يَعِيشُونَ؟.

قَالَ الْمَلِكُ: هَذَا لَيْسَ من شَأْنِى يَا وَزِيرُ.

قَالَ الْوزِيرُ: ولَكِنْ يا مَوْلاَىَ أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْقَرَارَ سَيَجْلُبُ عَلَيْنا كَثِيرًا مِنَ الْمَتَاعِبِ.

قال الْمَلِكُ: لَيْسَ مِنْ حَقِّك مُنَاقَشَة ما أُصْدِرُهُ مِنْ أَوَامِرَ، هَذَا أَمْرٌ وعَلَيْكَ أَنْتَ مِنَ الآنَ - بِصِفَتِكِ الوَزِير الأَوَّل- أَنْ تُنَفِّذَه.

قال الْوَزِيرُ (فى حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ): ولَكِنْ كَيْفَ يامولاَىَ؟

قال الْمَلِكُ: علَيْك أَنْ تبدأَ مِنَ الآن فى بناءِ سَدٍّ عظيم.. فى هَذَا الْمَكانِ الَّذِى نَحْنُ فيه، وَهُوَ حُدُودُ مَدِينَتِنَا.. يَحْجِزُ كلَّ مِيَاهِ

النَّهْرِ.. ويَمْنَعُهَا مِنَ التَّسَرُّبِ إلى القُرَى الأُخْرَى، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا السَّدُّ بعَرْضِ النَّهْرِ وبارْتِفَاعٍ كَبِيرٍ.

لَاحَظَ الْوَزِيرُ شِدَّةَ الْغَضَبِ عَلَى وجْهِ الْمَلِكِ وهو يُلْقِي أوامِرَهُ، وَأَدْرَكَ بِحِكْمَتِهِ أَنَّه لا فَائِدَةَ مِنْ مُنَاقَشَتِهِ فى هَذِه الأَوَامِرِ.. وفى هَذِه اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا، لِذَلِكَ قال الْوَزِيرُ: سَمْعًا وطَاعَةً يا مَوْلَاىَ.

واسْتَمَرَّ الْمَلِكُ فى إصْدَارِ أَوَامِرِهِ وقَالَ: لَابُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْعَمَلُ فى خِلَالِ أُسْبوعٍ عَلَى أَكْثَرِ تَقْدِيرٍ.

قال الْوَزِيرُ: ولَكِنْ لَيْسَ لَدَيْنَا الْكَثِيرُ من الْعُمَّالِ لِبنَاءِ هذا السَّدِّ فى أُسْبُوعٍ يا مَوْلَاىَ.

قال الْمَلِكُ: اجْمَعْ كُلَّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ واجْعَلْهُمْ يَتفَرَّغُونَ لبناءِ هَذَا السَّدِّ.

قال الْوَزِيرُ: ولَكِنَّ أَهْلَ «كَانْدِى» ورَاءَهُم الْكَثِيرُ مِنَ الأَعْمَالِ، ورَاءَهُم الْحَصَاد.

قال الْمَلِكُ (مُقَاطِعًا): هَذَا أَمْرٌ يا وَزِيرُ.. ولَابُدَّ أَنْ يُنَفَّذَ.

* * *

انْتَهَتْ سِلْسِلَةُ الأَوَامِرِ الَّتى أَصْدَرَهَا الْمَلِكُ لِوَزِيرِهِ الْحَكِيمِ،



بانْتِهَاءِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ.. ووصَلَ كُلٌّ مِنَ الْمَلِكِ والْوزِيرِ إِلَى الْقَصْرِ.

***

انْفَرَدَ الْوزيرُ بِنَفْسِهِ دَاخِلَ الْقَصْرِ.. وأَخَذَ يُفَكِّرُ فى هَذِهِ الأَوامِرِ الْقَاسِيَةِ الْعنِيفَةِ.

قال الوزير فى نَفْسِهِ: إنَّ فِكْرَةَ الْمَلِكِ فِكْرَةٌ جُنُونِيَّةٌ وخَطِيرةٌ لِلْغَايَةِ، فَالأَمْطَارُ تَسْقُطُ على مَدِينَتِنَا بكَثْرَةٍ.. وإِذَا تَمَّ بِنَاءُ السَّدِّ عَلَى حُدُودِ «كَانْدِى».. فَسَوْفَ يَحْدُثُ فَيضَانٌ مُؤَكَّدٌ، وتَغْرَقُ «كَانْدِى الْخَضْرَاءَ» تَمَامًا، فَهذِهِ الفِكْرَةُ سَتكونُ ضَارَّةً بِنَا، وسَيُكَلِّفُنَا السَّدُّ الْكَثِيرَ مِنَ الأَموالِ التى يُمْكِنُ أَنْ نُنْفِقَهَا فى المَشْرُوعَاتِ النَّافِعَة لبلَادِنَا. . ثُمَّ إن أَهْلَ القرى الأُخْرَى.. كَيْف يَعِيشُونَ؟! مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُمْ لَنْ يَرْضَوْا عَنْ إِقَامَةِ السَّدِّ، وقد يَدْفَعُهُمْ هَذَا الْعَمَلُ الْجُنُونِيُّ إلى إعلانِ الْحَرْبِ علَيْنا، فَالْحَقُّ مَعَهُمْ، والنَّهْرُ حَيَاتُهُمْ فَتكُونُ الْحَرْبُ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ حَيَاتِهِمْ مَشْرُوعَةً وعَادِلَةً. . كَمَا أَنَّ الْمُدُنَ والْقُرَى الْمُجَاوِرَةَ سَتَقِفُ مَعَهُمْ وتُؤَيِّدُهُمْ، بل ورُبَّمَا حَارَبُوا مَعَهُمْ ضِدَّنا أيضًا، فإِذَا تَمَّ هَذَا سنَخْسَرُ الْحَرْبَ لَا مَحَالَةَ.

إنَّ سُكَّانَ مَدِينَتِنَا «كَانْدِى الْخَضْرَاءِ».. طَيِّبُونَ آمِنُونَ.. لم

يَتدرَّبُوا على فُنُونِ الْحَرْبِ والْقِتَالِ لِفَتَراتٍ طَوِيلَةٍ.. كما أَنَّ الْحَرْبَ تَحْتاجُ إلى الْكَثِيرِ مِنَ الأَمْوالِ والْمَوَارِدِ.. فى شِراءِ الأَسْلِحَةِ والتَّدْرِيبِ عَلَيْهَا.. وعَمَلِ التَّحْصِينَاتِ والْحُصُونِ.. إلخ.

سَأَلَ الْوَزِيرُ نَفْسَهُ: كَيْفَ أُنْقِذُ «كَانْدِى الْخَضْرَاءَ» مِنْ مَتَاعِبَ لاَ حَصْرَ لها سَوْفَ تَحْدُثُ نَتِيجَةً لِهَذَا الْقَرَارِ الظَّالِمِ.

ومَرَّت الأَيَّامُ.. والْوَزِيرُ الْحَكِيمُ «كَالْدَهَار» مُسْتَغْرِقٌ فى تَفْكِيرِهِ لِيُجَنِّبَ الْمَدِينَةَ الشُّرُورَ الْكَثِيرَةَ الْقَادِمَةَ.. واسْتَمَرَّ الْعَمَلُ فى بِنَاءِ السَّدِّ، وسَادَ الْحُزْنُ سُكَّانَ الْمَدِينَةِ.. لأَنَّهُمْ تركُوا أَعْمَالَهُمْ وحَصَادَهُمْ وتِجَارَتَهُمْ لِيَعْمَلُوا فى السَّدِّ الْمَشْئُومِ الَّذِى سَيَمْنَعُ الْمِيَاهَ والْحَيَاةَ أَيْضًا عَنِ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ.. حَتَّى «سُوهَانَ» الأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ الْجَمِيلَةُ.. أَدْرَكَتْ بِعَقْلِهَا الصَّغِيرِ ما يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ لَوْ تَمَّ بِنَاءُ السَّدِّ.. لَنْ تَلْتَقِىَ بِصَدِيقِهَا الصَّغِيرِ «باجى» ابنِ ملكِ قريةِ الصَّيَّادِينَ مَرَّةً أُخْرَى، إِنَّ الْعَدَاءَ الَّذِى سَوْفَ يَسُودُ بَيْنَ «كانْدِى الْخَضْرَاءِ» وغَيْرِهَا مِنَ الْمُدُنِ الْمُجَاوِرَةِ يَعْلَمُ اللَّهُ وَحْدَهُ إلى مَتَى يَسْتَمِرُّ الْعَدَاءُ.

❊ ❊ ❊

بعدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ.. بدأَ سُكَّانُ قريةِ «مادونا» يَشْعُرونَ بما يَحْدُثُ

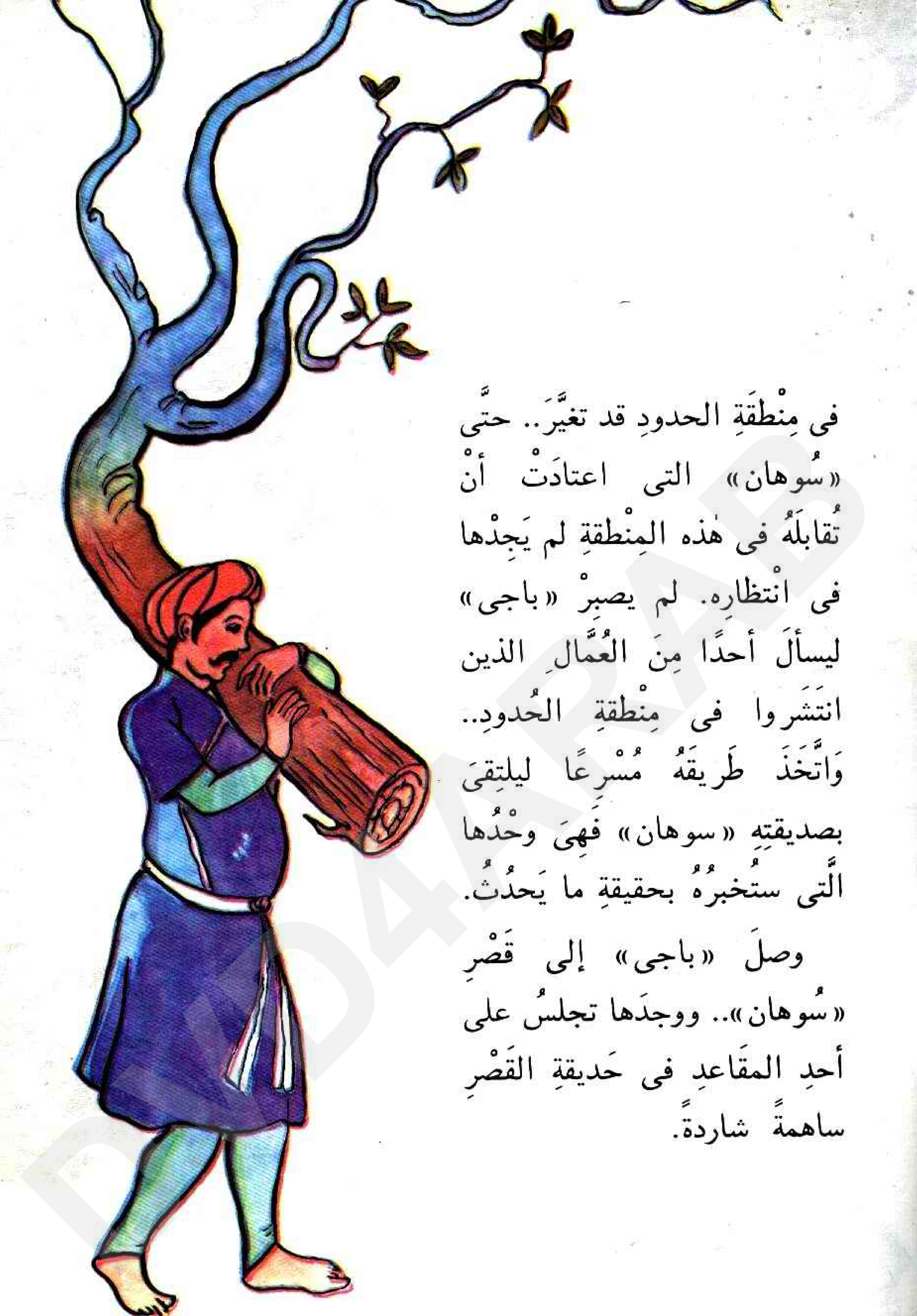
فى مَدِينةِ «كانْدِى».. وما يقومُ به مَلِكُهَا من حَشْدِ الأَهَالِى لبناءِ السَّدِّ.. الَّذِى أَمَرَ بإقامتِهِ دُونَ إخْطارٍ أو إنذارٍ للقُرَى المُجَاوِرَةِ.

سَمِعَ «بَاجِى» ابنِ ملكِ قريةِ «مَادُونَا» الإِشَاعَاتِ التى بدَأَتْ تَنْتشِرُ بين الصَّيادينَ وأهَالِى القريةِ حَوْلَ بناءِ سَدٍّ أو حاجزٍ يَحْجِزُ الْمِيَاهَ عَنْ قَرْيَتِهِمْ.. قال «باجى» فى نفسِهِ - أوّلَ الأَمْرِ - رُبَّمَا كانت إشاعَات وأقَاويل مغرضةً هدَفُهَا بَذْرُ الشّكِّ والْعدَاءِ بينَ قَرْيتِنَا ومدينة «كانْدِى».

ولكنَّ «باجى» لَمْ يَسْتَسْلِمْ لحيرَتِه كثِيرًا.. وقرَّرَ أنْ يذْهَبَ بنَفْسِهِ - كعَادتِهِ - إلى صديقتِهِ «سُوهَانَ» ابنةِ مَلِك مَدِينَة «كاندى» ويحصُلَ منها علَى الخبَرِ الْيَقِينِ.

اتخذَ «باجى» طريقَهُ إلى مدينةِ «كَانْدِى»، وعِنْدَما اقْترِبَ من مِنْطَقةِ الحُدودِ، وجدَ حَشْدًا ضَخْمًا من أهَالِى المَدِينةِ يعْملون فى قَطْعِ الأشْجارِ.. وتجْهِيزِ أدواتِ البِنَاءِ من حجارةٍ ضَخْمةٍ ورمالٍ وأدواتٍ مختلفة.

خفقَ قلبُ «بَاجى» خفْقةً شديدةً، وأدركَ أنَّ الكلماتِ والأقاويلَ التى انتشرَتْ بَيْن سُكَّانِ قريتِهِ «مَادُونَا» لم تكنْ مجردَ اخْتِلاقٍ، ولكنْ يَبْدو أنَّ لها جانبًا من الصَّحةِ، فقد وجدَ كلَّ شيءٍ



فى مِنْطقَةِ الحدودِ قد تغيَّرَ.. حتَّى «سُوهان» التى اعتادَتْ أنْ تُقابلَهُ فى هٰذه المِنْطقةِ لم يَجِدْها فى انْتظارِه. لم يصبِرْ «باجى» ليسألَ أحدًا مِنَ العُمَّالِ الذين انتَشَروا فى مِنْطقةِ الحُدودِ.. وَاتَّخَذَ طَريقَهُ مُسْرِعًا ليلتِقىَ بصديقتِهِ «سوهان» فَهِىَ وحْدُها الَّتى ستُخبرُهُ بحقيقةِ ما يَحدُثُ.

وصلَ «باجى» إلى قَصْرِ «سُوهان».. ووجدَها تجلسُ على أحدِ المقَاعدِ فى حَديقةِ القَصْرِ ساهمةً شاردةً.



قال «باجى»: «سوهان»! ماذا حَدَث؟ ما الذى يَجْرِى فى مِنْطَقَةِ الحُدودِ بَيْن مَدِينَتِكُم وقَرْيتِنَا؟!

قَالَتْ «سوهان» (وقد فوجئتْ بوجودِ باجى): باجى! كيف حَضَرْتَ إلى هُنَا؟.

قَال «بَاجِى»: ذَهَبْتُ إلى مَكَانِ لِقَائِنَا بِجِوَارِ النَّهْرِ.. فَوَجَدْتُ مَعَالِمَهُ قد تغيَّرَتْ تمامًا.. فَجِئْتُ أسألُكِ عَنِ السَّبَبِ خَاصَّةً أنكِ لم تأتِ كالمعتاد.



قالتْ «سُوهان»: أرأيتَ يا «باجِى» لم يعدْ مكانُ الحُدودِ صالحًا للقاءِ واللَّعِبِ بعد الآن.

قال «باجى»: لماذا يا سُوهان؟! ما الَّذى يَجْرِى هُناك؟!

بكتْ «سوهان» ولم تستطِعْ أنْ تُجيبَ.

قال «باجى»: إذَن ما سمعْتُه حقًّا.

قالت «سوهان»: ما الّذِى سَمِعْتَهُ يا «باجى»؟

قال «باجى»: سَمِعتُ أَنَّكم تَبْنون سدًّا لِيَحْجِزَ عنَّا المِيَاه.

قالَتْ «سُوهان»: للأسَف.. إنَّ ما سَمِعْتَهُ هو الحَقِيقَة يا «باجى».

قال «باجى»: ولكنْ لماذا؟

قالت «سوهان»: إنَّهَا أَوامرُ الملكِ.

قال «باجى»: مَعْنَى ذَلِكَ ألَّا تَصِلَ إلينَا مِيَاهُ النَّهْرِ.. وأنْ تُحْرَمَ قَرْيَتُنَا مِنَ الْمِيَاهِ!!

نظرَ «بَاجى» إلى «سُوهان» التى لم تَسْتَطِعْ مُواجَهةَ نظَراتِهِ.. فوجَّهَتْ عَينيْها إلى أرضِ الحديقةِ.. فعادَ يقول:

ولكنِّى أوَدُّ أنْ أسْألَكُمْ.. أَلَمْ تُناقِشُوا الملكَ فى هٰذا الأمْر؟

أَجابتْ «سُوهان» من خِلالِ دمُوعِها: لم نَستطِعْ يا «باجى» فَالَّذِى يحدُثُ أقْوى مِن كلِّ مُحاولاتِنا جميعًا.

سألَ «باجى»: وماذَا عن موقفِ الوزيرِ «كَالْدَهَار».. الَّذى اشْتُهِرَ بالحِكْمَةِ والْعدلِ، أهُو مُوافقٌ أيضًا عَلى هذا العَمَل؟!

أجابتْ «سوهان»: لَقَد حاولَ الوزيرُ «كالدَهارَ» أنْ يُثْنِى المَلِك عَن هٰذا القَرارِ.. ولكنَّ المُحاولاتِ فَشَلَتْ تمامًا.

حَزِنَ «باجى» لهذا الأمْرِ الغَريبِ.. وغادرَ القصرَ بِدُونِ أنْ يُلْقى التَّحيةَ على «سوهان»، وأخذَ يفكِّرُ وهُو فى طَريقِ عَوْدتِه إلى قَرْيته «مادونا» فى هذا الأمْرِ الخَطِير. فَشَردَ فكرُهُ.. وسرحَتْ خواطِرُهُ.. ولم يَشْعُرْ إلاَّ وهُو بجوارِ أهْلِ مدينةِ «كاندى».. الذين يَعْمَلون فى هذا السدِّ، الذى سيحْكُمُ علَيْه وعَلى أهْلِ قريتِهِ جَمِيعًا بالهَلاكِ، بلْ وسيحْكمُ عَلى صداقتِهِ الحَميمةِ بسُوهان بالانتهاءِ أيضًا.

عَقَد مَلِكُ «مادونا» إجْتماعًا عاجلاً.. حَضَرَهُ كلُّ وزرائِهِ ومُسْتَشاريهِ، وعددٌ كبيرٌ من كِبارِ الصَّيَّادِين، ليبْحثُوا هذا الأمرَ الذِى قد يَسُوقُ عليهم الدَّمارَ والجُوعَ والهَلاكَ. وبدأَ الملكُ يسْتَمِعُ لآراءِ الوُزراءِ والمُسْتَشارين والشُّيوخِ منَ الصَّيَّادين والتُّجارِ.. الَّذين عُرِفُوا بالحِكْمةِ ورَجاحةِ العَقْل، وكانَتْ هذه عادةُ مَلِكِ «مادونا» دائمًا حِينَما يُريدُ أنْ يأخذَ قرارًا فى أمْرٍ خَطيرٍ.. فإنَّه يسْتَعينُ بآراءِ كلِّ مَنْ حَوْلَه مِنْ ذَوِى الخِبرَةِ والمَعْرفة، والقرارُ اليَوْم خاصٌّ ببناءِ السَدِّ وحَجْزِ المياهِ عَنْهم فماذا يفعلون ؟

قال أحدُ الصَّيَّادين : إنَّ هذا النَّهرَ مَصدرُ حَياتِنا، وموردُ رِزْقِنا، فكَيْف نصْطادُ بعدَ اليَوم؟ فنحْنُ نَعِيشُ عَلى السَّمكِ، نأكلُ بعضَهُ

وَنَبِيعُ بعضَهُ لنشترِىَ ما يَلْزمُنا من أطْعمةٍ أخْرَى وكساء.

قالَ آخرُ: أنَا لَم أتعلَّمْ مِهْنةً أُخْرَى غيرَ الصَّيْد.

ردّ ثالثٌ: أتتحدَّثُ عَنِ الصَّيد، بلْ لَكَ أنْ تَسْألَ أوَّلاً مِنْ أينَ نَشربُ؟

قال المَلكُ: إنَّ الأمرَ خَطيرٌ جدًّا، ولكن حتَّى لا نتَّخذَ قرارَنا فى لَحْظَةِ غَضبٍ، علَيْنا أنْ نَهْدأ أولا.

قالَ وزيرٌ: وكَيْف الهُدوءُ ومَلِكُ «كاندى» يعْمَلُ على هَلاكِنا؟ لابدَّ منَ الحربِ.

قالَ المسْئولُ الأوَّلُ عنِ الدفاع: نَعم! الحَربُ ولا شىْءَ غَيْرُها.

قال أحدُ المُسْتَشارين: لابدَّ أنْ نسْلُكَ طَريقَ السَّلام أولاً، فالحرْبُ مَعْناها الفَناءُ للبلدَيْن معًا.

ردَّ شَيْخُ الصَّيَّادين: ولكنْ كَيْف نَسْلُكُ طريقَ السَّلامِ مع هذا المَلكِ الَّذى لم يَرْعَ حَقَّ جيرانِهِ فى الْحَياةِ؟

قَالَ الملكُ: رَأْىُ الْمُسْتَشارِ حقٌّ.. لابدَّ أنْ نَسْلُكَ طريقَ السلامِ أولاً، فشعبُ مدينةِ «كاندى» طيِّبٌ يُحبُّ السلامَ والحياةَ الآمنةَ فكَيْفَ نُعلِنُ الحربَ علَيْهم فجأةً وَبدُونِ إنْذارٍ؟

قال شَيْخُ الصَّيَّادين: ماذا نفعلُ إذنْ.. والوَقْتُ يمرُّ؟

قال الملكُ: فَلْيَذْهَبْ كُلُّ منكُمُ الآنَ إلى منزلِهِ ويفكِّر في هدوءٍ.. ثم نعودُ وقْتَ الغروبِ للتشاورِ من جديدٍ وبعدما نستقرُّ على رأيٍ نُصْدِرُ القرارَ السَّليمَ الذى فيه المَصْلحةُ العامةُ.. والذى فيه أكبرُ مكْسبٍ وأقلُّ خَسارةٍ مُمْكِنَةٍ.

وعِنْدَ الغُروبِ عادَ الجميعُ.. وأخذُوا أماكنَهُم فى الاجْتِمَاعِ.. وحضرَ مَلِكُ «مادونا» وبدأَ يَتَسَمَّعُ الآراءَ التى كانَ معظمُها يُؤيِّدُ الحرب، فإذا كانَ هناك خَيارٌ بينَ المَوْتِ جوْعًا وعَطَشًا واستسلامًا.. وبَيْنَ المَوْتِ فى ساحةِ القِتالِ دفاعًا عَنِ الحقِّ والحياةِ فَأَوْلَى بالإنسانِ أنْ يمُوتَ فى مَيْدانِ الْقِتالِ.

وسألَ الملكُ ابنَهُ الصغيرَ «باجى».. فقَدْ كانَ ملكُ «مادونا» يحاولُ أنْ يَعُدَّ ابنَهُ للجُلوسِ على العَرْشِ من بَعْدِهِ.. ويُحَاولَ أنْ يدرِّبَهُ على التَّفكيرِ واتِّخاذِ القَرارِ وفكَّرَ «باجى» قَبْلَ أنْ يُجيبَ عن سؤالِ أبيه..

صحيحٌ أنَّه تربطهُ «بسوهان» ابنةِ ملكِ «كاندى» صداقةٌ حَمِيمةٌ قويةٌ.. ولكنَّ هذه مصلحةٌ شخصيةٌ خاصةٌ جدًّا.. وصغيرةٌ جدًّا إذا ما قِيسَتْ بالخَطَرِ الذى يتعرَّضُ له أهلُ قريتِهِ.. وهو



المَوْتُ جُوعًا وعَطَشًا. لذلِكَ أجابَ « باجى » فى حُزْنٍ عميقٍ: الحَرْب.

قال المَلكُ فى هُدوءٍ: إذَن لَقَدْ أجمعَتْ مُعظَمُ الآراءِ على الحَرْب، وأنا والوُزَراء نؤيِّدُكم فى ذلِكَ، ولكنَّنا رأيْنا أنْ تكونَ الحربُ هى آخرُ وسيلةٍ نَلْتَجِئُ إلَيْها لو فَشَلْنا تمامًا فى التَّفاهُمِ مع ملكِ «كاندى» لذلك علَيْنا أولاً أنْ نَطْرُقَ أبوابَ السَّلام.

قال أحدُ الصَّيَّادينَ: ولكن كَيفَ؟

قال المَلكُ: أولاً.. نحْنُ عندَنَا مِنَ الْمِيَاهِ ما يَكْفِينَا لنشربَ مِنْها.. ونَعيشَ علَيْها عَشَرَةَ أيَّامٍ.. فعلَيْنا أنْ نعملَ جاهِدينَ لنجنِّبَ شعْبنَا الحربَ، وعلَيْنا بالتَّفاوض مَع هذا المَلكِ خلالَ الأيَّامِ القادِمَةِ ونُقْنِعَهُ بخطُورةِ هذا العَمَل.

قال وزيرٌ: وإذا لم يَقْتَنِعْ؟

قال المَلكُ: سنبدَأُ الخُطْوَةَ الثَّانية.

قال وزيرٌ آخَرُ: وما هِىَ؟

قالَ المَلكُ: الإنذارُ بالحَرْب.. وإنْ كُنْتُ أتمنَّى أنْ يخْشَى الملكُ عَلى مدينَتِهِ وعَلى عرشِهِ منَ الحَرْبِ.

قالَ صيادٌ: وإذا لَمْ يخشَ؟

قالَ المَلكُ: لَنْ يُكونَ أمامَنا إلا الحَرْبُ فما رأيْكم؟

أجابَ الجَميعُ: مُوافِقُونَ.

قال المَلكُ: ولـكن علَيْنا منَ الآن - وقَبْلَ كلِّ شيءٍ - أنْ نُعِدَّ للحَربِ عُدَّتَهَا.. وأنْ نَتدرَّبَ علَيْها ونُتْقِنَ كلَّ أساليبها وفُنُونِها.. على أن نَنْتَهِيَ من كلِّ ذلِكَ ونَكونَ على أتمِّ اسْتعدادٍ قَبْلَ أنْ ينتهِيَ هٰذا الأسبوعُ المُحدَّدُ لبناءِ السَّد.

فى الصَّباحِ أرسلَ ملكُ قريةِ «مادونا» رسولاً خاصًّا إلى مَلكِ مدينةِ «كاندى».. يَدْعُوه لمُقابلتِه.. عَلى أنْ تكونَ المقابلةُ فى مكانٍ مَّا على الحُدودِ بَيْن القَرْيةِ والمَدِينة.

قام الوزيرُ «كالدهار» بمقابلةِ الرسُول.. ثم تَوَجَّهَ إلى الملكِ وأبلغَهُ الرِّسالةَ، ورغْبَةَ رسُولِ مَلكِ «مادونا» فى لقائِهِ، إلا أنَّ مَلكَ «كاندى» تَمادَى فى غُرورِهِ وإصْرارِهِ.. ورفضَ أنْ يُقابلَ الرَّسولَ.. كَما رفضَ أنْ يُحدِّدَ مَوْعدًا للقاءِ مَلِكِ «مادونا».

غضبَ ملكُ «مادونا» مِنْ هذه الإهانة، ولكنَّه تحكَّمَ فى غضبِهِ.. فهُو يريدُ إنقاذَ شَعْب قَرْيَتِه.. وعلَيْه أن يسْلكَ كلَّ الطُّرقِ الَّتى توصِّلُه إلَى هذا الهدف، لِذَلِكَ بدأَ يفكِّرُ فى الخُطْوةِ التَّاليةِ.. وهى الإنذارُ بالحَرْبِ.. وبالفِعْلِ أرسلَ إلى المَلكِ إنذارًا بأنَّه إذَا

لم يُوقِفِ العَملَ فى بناءِ السَّدِّ.. سيَكونُ اللِّقاءُ فى ساحَةِ القِتالِ فى السَّادسَةِ صَباحًا فى آخرِ أَيَّامِ هذا الأسْبُوع.

* * *

استيقظَ ملكُ مَدينةِ «كاندى» من نَوْمِهِ فى الصَّباحِ حَزينًا مُكْتئبًا. بَعْدَ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْحَرارةِ، أخذَ من شدَّتها يتقلَّبُ فى فِراشِهِ لفتراتٍ طَويلَةٍ، وزَادَ من حُزْنِهِ وتَوَتُرِهِ ذلكَ الحُلْم الْمُزْعِجُ الذى رآه فى اللَّحظاتِ القليلةِ التى استسلَمَتْ فيها عيناه للنُّعاس.

شَعَرَ الوزيرُ الحكيمُ «كَالدهار» بِخُطُورةِ الموْقِفِ.. وأَخَذَ يُفكِّرُ فى إنقاذِ مَدِينةِ «كانْدى الخضْراءِ» مِن أَخْطارِ الحرْبِ.. فالسَّدُّ تَمَّ بِناؤه والأَيَّامُ تمرُّ واقتربتِ اللَّحْظةُ الحَاسِمَةُ.. وغدًا فِى السَّادِسِةِ صَباحًا ستَشْتَعِلُ الحربُ بيْنَ «كاندِى» و«مادُونا» كمَا فَشلتْ كلُّ مُحاولاتِهِ لإقْناع الملِكِ بقبُولِ الإِنْذارِ وهدْمِ السَّدِّ.

جَلسَ الوزيرُ يُفكِّرُ طُولَ اللَّيْلِ فِى طَرِيقةٍ يُنقِذُ بِهَا البِلادَ مِنْ وَيْلاتِ الحرْبِ.

وأَخيرًا، وبعْدَ انْتِصَافِ اللَّيلِ، اهتَدَى تَفْكِيرُه إلى شَىْءٍ مَّا.

أخذَ يقلِّبُ هذا الشَّىْءَ فى ذِهْنِه.. وتحوَّلَ إلى فِكْرَةٍ، رُبَّما تُنْقِذُ شعبَ مدينةِ «كاندى» وقرية «مادونا» منَ الدَّمار.

هبَّ الوزيرُ مِنْ مَجْلِسهِ.. وأسرعَ ناحِيَةَ البُرْجِ الَّذِى يتوسَّطُ المدينةَ.. والَّذِى أُقِيمَتْ فيه السَّاعةُ الكَبِيرةُ ذاتُ الجَرَسِ الكَبير الذى يُعْلِنُ للجميعِ بَدْءَ يَوْمٍ جَدِيد.

دخلَ الوزيرُ البرج.. وقابلَ العاملَ المسئولَ عن إدارةِ السَّاعةِ، وهَبَّ الرَّجُلُ واقفًا مُرَحِّبًا بالوزيرِ الْمَحْبُوبِ.

قالَ الوزيرُ: فى تَمامِ السَّاعَةِ الثَّالثةِ صباحًا علَيْكَ أنْ تَدُقَّ الجرسَ لتُعْلِنَ أنَّها السَّادِسَة.

قَالَ العَامِلُ: كيْفَ يا سَيِّدِى الوَزِيرُ؟ قَدْ يُحاكِمُنِى الملكُ عِنْدَما يعلمُ ذَلك.

قَالَ الوزيرُ: هَذِهِ أوامرُ المَلِكِ.. ويجبُ أنْ تُنَفَّذَ عَلَى الفَوْرِ، وإلَّا تعرَّضْتَ للمُحاكَمَةِ والسِّجْن.

قال العامل: سمعًا وطاعةً يا سيِّدِى الوَزِير.

ذهبَ الوزيرُ إلى حُجْرَتِهِ وبدأَ ينتظرُ السَّاعةَ الثَّالثة.

❊ ❊ ❊



وفى تمام الثَّالثةِ دقَّتِ الأجْرَاسُ فى البُرْجِ الكَبيرِ.. لتُعْلِنَ للنَّاسِ بَدْءَ يَوْمٍ جَدِيدٍ..

استيقظَ أهلُ مدينةِ «كاندى الخَضْراءِ» مِنْ نَوْمِهم ليبدءُوا يَوْمَهُمُ الجديدَ، ولَكِنَّ الظَّلامَ كانَ يُحِيطُ بالْمَدِينةِ مِنْ كلِّ مكانٍ، بدأ الْجميعُ يتساءَلُون: لماذا لم تَظْهرِ الشَّمْسُ بعد؟

اسْتَيْقَظَ الملكُ أيضًا عِنْدَما سَمِعَ أجراسَ البُرْجِ.. ولكِنَّهُ انْدَهَشَ هو الآخَرُ حينَمَا وجدَ الظَّلامَ يعمُّ المَكان، توجَّهَ إلى نافذةِ قَصْرِه وفتحَهَا فوجدَ الظَّلام يُحِيطُ بالحديقةِ وبكلِّ شىء، سَمعَ المَلَكُ بكاءً من الحُجْرةَ المُجاوِرَةِ وقالَ: إنَّه صَوْتُ «سوهان» ابْنَتِى العَزِيزَة.. مَاذَا أَصَابَها؟!

جَرَى المَلِكُ ناحيةَ الحُجرةِ المُجَاوِرَةِ ولكنَّه تَعَثَّرَ فى أحَدِ المقاعدِ وسَقَطَ على الأرْضِ، وَنَهَضَ مرَّةً أُخْرَى ليجدَ أمامَهُ ابنتَهُ «سوهان» عَرفَ صَوْتَها بِرَغْمِ الظَّلامِ وقَال:

– سُوهان!! ابْنَتِى العَزِيزَة، ماذَا أَصَابَك؟ ولماذا تَبْكِينَ؟

قَالَتْ «سوهان»: لا أعرفُ يا أبى، لقد سمعْتُ دَقَّاتِ أجراسِ البُرجِ فاستيقظْتُ ولَكِنِّى فوجِئْتُ أنَّ الشَّمْسَ لم تظهرْ

بَعْدُ.. فَجِئْتُ لأسألَك.. فتعثرت فى الظلام واصطدمت رأسى بالحائط.

قَالَ الملكُ صارخًا: وأنا أيضًا تعثَّرتُ فى الظَّلام.. لماذا لم تَظْهَرِ الشَّمْسُ؟! أَحْضِرُوا الوَزِيرَ «كالدَهَار» أَحْضِرُوا الوَزِيرَ «كالدَهَار».. أَضِيئُوا الشُّمُوعَ فى القَصْر.

دخَلَ الوزيرُ «كالدَهَار» وهُوَ يتَحَسَّسُ طَرِيقَهُ، ومُمْسكًا فى يَدِهِ شَمْعَةً صَغِيرَة.

قَالَ المَلِكُ: أيُّها الوَزِيرُ.. ماذَا حَدَثَ؟ لِماذَا لَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ؟ لِمَ كلُّ هذا الظَّلامِ بِرَغْمِ أنَّ السَّاعَةَ السَّادِسَة.

أجَابَ الوزيرُ: فى الحقيقَةِ يا مَوْلَاى.. فِى الحقيقَةِ...

قَالَ المَلِكُ: فى الحقيقَةِ مَاذا.. تكلَّمْ.. تَكَلَّمْ أَيُّهَا الوَزِيرُ.

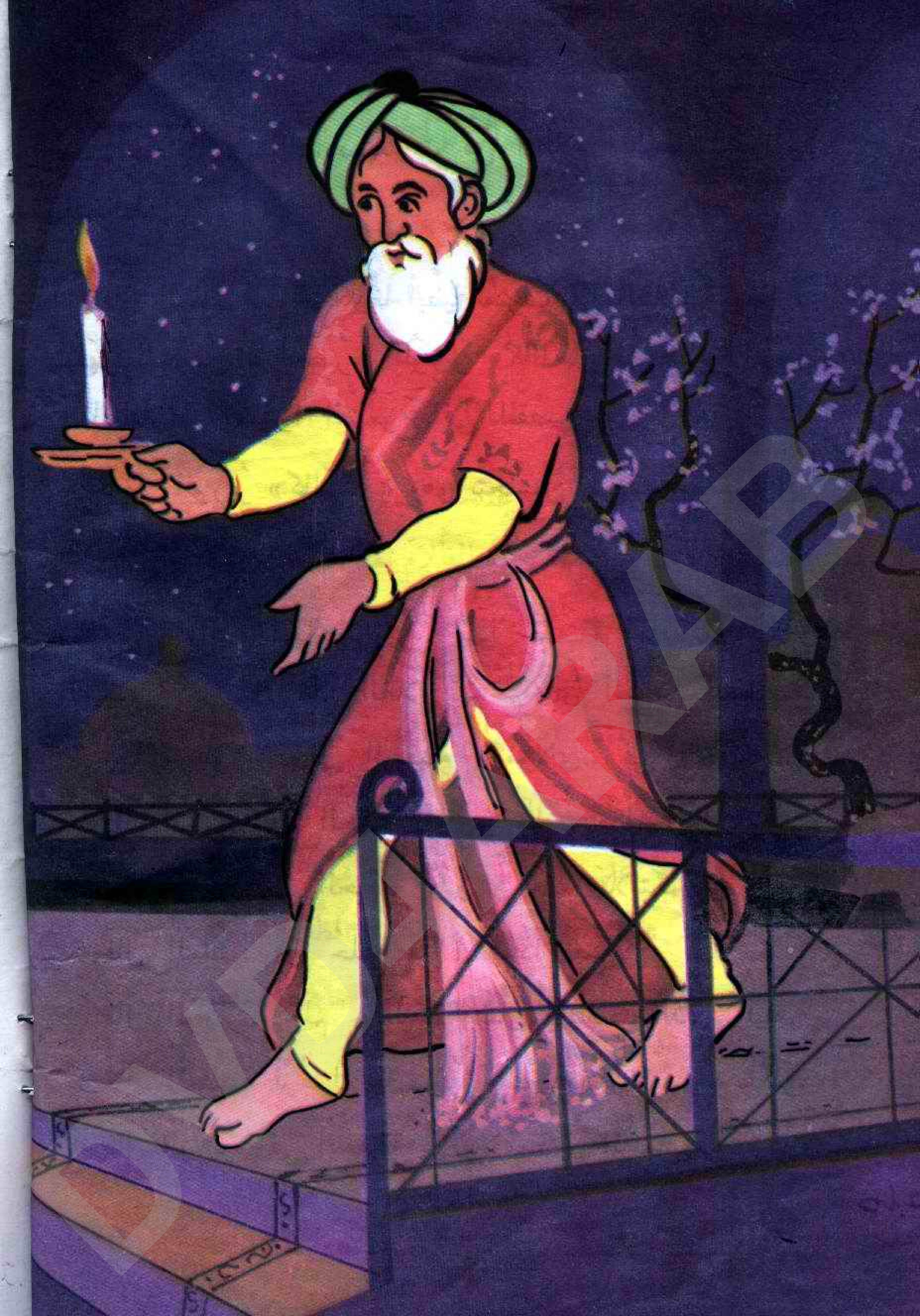
قَالَ الوَزِيرُ: فى الحَقِيقَةِ يَبْدُو أَنَّ حُلْمَ جَلالَتِكُم قَدْ تَحَقَّقَ.

قَالَ الملكُ: أَيُّ حُلْمٍ هَذا؟ ومَاذَا تَعْنِى؟

قَالَ الوَزِيرُ: حُلْمُ جلالَتِكُم بشَأْنِ الظَّلامِ الذى رَأيتَهُ.

قَالَ المَلكُ: أَرْجُوكَ يا وَزِيرُ وَضِّحْ ما تَرْمِى إِلَيْهِ أَكْثَر.

قَالَ الْوَزِيرُ: فى الْحَقِيقَةِ يا مَوْلَاىَ.. إِنَّ الشَّمْسَ لَنْ تَشْرُقَ



أبدًا بَعْدَ ذَلِكَ.. لا فِى هَذَا اليَوْمِ ولا فِى الأيَّام القَادِمَة.. لقد كُتِبَ علَيْنا أنْ نَعِيشَ فى ظَلامٍ طُوالَ حياتِنا.

صَاحَ المَلكُ غَاضِبًا: كَيْفَ؟.. كَيف يَكُونُ هَذا؟ وَمَا الَّذِى حَدَثَ؟

قَالَ الوَزيرُ: إنَّ أحَدًا أَخذَ مِنَّا الشَّمْسَ.

قَالَ المَلِكُ: مَنْ هُوَ.. وَلِمَاذَا؟

قَالَ الوَزِيرُ: إِنَّ الشَّمْسَ يا مَوْلَاىَ تَشْرُقُ مِنَ الْقَرْيَةِ المُجَاورَةِ.. لا شَكَّ أَنَّكَ تَعْرِفُها إِنَّها قَرْيةُ الصَّيَّادِينَ.. قَرْيَةُ «مادونا» تَشْرُقُ الشَّمْسُ مِنْ هُنَاكَ أَوَّلًا، ثم تَمُرُّ حَتَّى تَصِلَ إلَيْنَا فِى تَمامِ السَّادِسَةِ مِنْ صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ.

قَالَ المَلِكُ: ومَاذَا حَدَثَ.. وَلِمَاذَا لَمْ تَأْتِ اليَوْمَ؟..

قَالَ الوَزِيرُ: عِنْدَمَا أَشرَقَتِ الشَّمْسُ اليَوْمَ فى الْقَرْيَةِ المُجْاوِرَة.. فَكَّرَ الملكُ أنْ يَحْجِزَها عَنَّا.

فَصَاحَ المَلِكُ: هَذَا المَلِكُ أَنَانِىٌّ جَشِعٌ.. كَيْفَ يَجْرُؤُ على مِثْلِ هذا العَمَلِ؟.. كَيْف يجعلُ مَدِينَتَنَا تَعِيشُ فى ظَلامٍ دَائِمٍ؟ وكَيْف تَمَّ لَهُ ذَلك؟

قَال الوَزِيرُ: مَعَ الأَسَفِ يا مَوْلَاى.. لقَدْ جَمَعَ شَعْبَهُ كُلَّهُ.. وبنَوْا

لَهُ سَدًّا عَظِيمًا فَوْقَ قَصْرِهِ المُرْتَفِعِ فَوْقَ قِمَّةِ التَّلِّ الكَبِيرِ، فَحجزَ هذا السَّدُّ ضَوْءَ الشَّمْسِ ومَنَعَهُ من الوُصولِ إلَيْنا.

صَاحَ الملِكُ غَاضِبًا: وما العَمل الآنَ؟ إنَّنى لَنْ أسْتَطِيعَ أنْ أعِيش فى هذا الظلام إلى الأبَدِ؟

نَظَرَ المَلِكُ إلى الوَزِيرِ وأكْمَلَ حَدِيثَهُ: ما العَمَلُ أيُّهَا الوَزِيرُ الحَكِيمُ؟

قالَ الوَزِيرُ: لَوْ هَدَمْنَا السَّدَّ الَّذِى بَنَيْنَاهُ لِنمْنَعَ عَنْهُمُ المياهَ.. سَيَقُومُونَ هُمْ أيْضًا بِهَدْمِ السَّدِّ الَّذِى أقامُوهُ ليَحْجُبَ عَنَّا ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَستَشْرُقُ الشَمسُ مَرَّةً أُخْرَى..

قَالَ المَلِكُ: وَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا؟!

قال الوزير: من المؤكد أنَّهُمْ سَيفْعَلُونَ يا مَوْلاىَ.. فَالرَّسُو الَّذِى جَاءَ لِمُقابَلَتِكَ وَرَفَضْتَ لِقَاءَه.. كَانَ يَحْمِلُ رِسَالَةً تَنُصُّ عَلَى هذا الاتِّفَاق: المِياهُ فى مُقَابِلِ الشَّمْسِ.

أجَابَ المَلِكُ عَلَى الفَوْرِ: مُوَافِقٌ.. مُوافِقٌ.. اهْدِمُوا السَّدَّ فورًا.

خَرجَ الوَزيرُ الحَكِيمُ فى فَرَحٍ شَدِيدٍ.. وأصْدَرَ أَوامِرَهُ فورًا

إِلَى كُلِّ النَّاسِ بِالتَّوجُّهِ إِلَى السَّدِّ وَهَدْمِهِ تمامًا.. حَتَّى تمرَّ المِياهُ إلى القَرْيَةِ المُجَاوِرَة.

لَبَّى النَّاسُ الأَمْرَ فى فَرَحٍ شَدِيدٍ.. فَقَدْ عَاشُوا السِّنِينَ الطَّوِيلَةَ فى حُبٍّ وَسَلام مَعَ جِيرَانِهِمْ فى قَرْيَةِ «مادُونا» وَجَاءَ هذا السَّدُّ ليُعْلِنَ العَدَاءَ الدَّائِمَ بَيْنَهُما، فَحَمَلَ النَّاسُ الفُئُوسَ والمَعاوِلَ وَاسْتَمَرُّوا فى هَدْمِ جُدْرَانِ السَّدِّ، فَالرِّجَالُ يَهْدِمُونَ والأَطفالُ والنِّساءُ يَحْمِلُونَ بَقَايَا الهَدْمِ.. حتى لا يَعُوقَ تَدَفُّقَ المِيَاهَ إِلَى القَرْيَةِ.

وفِى تَمامِ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ صَبَاحًا.. كَانَتِ المِيَاهُ تتدفَّقُ إِلى «مَادُونَا».. والشَّمْسُ تَشْرُقُ عَلى «كاندى الخَضْرَاء».. وعَادَ كلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وعَاشَ الشَّعْبانِ فى سَلامٍ.



أسئلة فى القصة

- ما هو اللقب الذى أطلقه أهالى مدينة « كاندى » على وزيرهم.. وما هى الأسباب وراء هذه التسمية؟
- لماذا رفض الملك اصطحاب الحراس معه خلال الرحلة التى قام بها؟
- قابل الملك والوزير خلال جولاتهما فى حقول « كاندى الخضراء » الكثير من المشاهد...
صف هذه المشاهد.
- فى موسم الحصاد لكل فرد فى مدينة « كاندى » دور يؤديه ومهمة خاصة يقوم بها.. اذكر عمل كل فرد على حدة.
- بماذا يروى أهالى مدينة « كاندى » أراضيهم؟
- عندما تجاوز الملك والوزير حدود المدينة ودخلا قرية « مادونا » وجدا صورة مياه النهر قد تغيرت تمامًا... ما هو الاختلاف الذى وجداه بالنسبة لاستغلال النهر من أهالى قرية « مادونا »؟
- ما هو العمل الذى أمر الملك بإقامته، وما هى المهلة التى حددها لإنجاز هذا العمل؟
- كان الوزير دائم التفكير فى نتائج قرار الملك... ما هى تلك النتائج التى توقع الوزير حدوثها؟
- ما هو الأسلوب الذى يتبعه ملك « مادونا » فى اتخاذ قرار خطير يخص أمر بلاده؟
- كيف تصرف ملك « كاندى » عندما علم أن ملك قرية « مادونا » يريد مقابلته؟
- ما هى الحيلة التى لجأ إليها الوزير لإنقاذ أهالى مدينة « كاندى » من الحرب؟
- فكر فى حيلة أو طريقة أخرى يمكن أن تنقذ بها الأهالى كما فعل الوزير.